عصور - تصنيف ج- المجلد 21 / العدد02 - ديسمبر2022
EISSN 6278-2600 ISSN 1112- 4237
http://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/167

معرف الكائن الرقمي للمقال:10.54239 /2319-021-002-016(DOI)

موقف الشيخ المبارك الميلي من طقوس الأضرحة وممارساتها

Sheikh Mubarak Al-Mili's position from the rituals And practices of shrines

ط.د. بنافلة عيسى*
جامعة مصطفى اسطمبولي- معسكر/ الجزائر
مخبر البحوث الاجتماعية والتاريخية، جامعة معسكر
aissa.benafla@univ-mascara.dz
أ.د. قبايلي هواري
جامعة مصطفى اسطمبولي- معسكر/ الجزائر
kebaili_houari@yahoo.fr

تاريخ الإرسال: 2022/02/28 تاريخ المراجعة: 2022/03/15 تاريخ القبول:2022/08/05

الملخص:

انتشرت في الجزائر ظواهر وممارسات وطقوس عديدة حول أضرحة الصالحين والأولياء منها ما ارتبط بمواسم معينة، ومنها ما ارتبط بتقاليد يحييها سكان الجزائر في أزمنة وأمكنة معيَّنة، وتختلف الدراسات في جينيالوجيا هاته الممارسات بين الأصول الوثنية والإسلامية، وبالرغم من اختلاف مصدرها وتاريخها إلا أن علماء وأئمة الإسلام في الجزائر كان لهم موقف منها بين التحريم والكراهة، وهناك من دعمها وأحياها لحاجة في نفسه، وبما أن الطبيعة تأبى الفراغ -ومع الغزو الفرنسي للجزائر **ما بين** 1830-1962 -انتشرت البدع والخرافات وسيطرت على الأذهان والعقول، وهناك من وجد ضالته في هذا من الطرقيين والانتهازيين الكولون، عندئذ ظهرت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين للتصدي لهذه

* ط.د. بنافلة عيسى/ جامعة مصطفى اسطمبولي، معسكر/الجزائر.

الضلالات، ومن نخب الجمعية الذين اهتموا بطقوس الأضرحة الشيخ العلامة الفذ مبارك الميلي الذي سخر لسانه وقلمه لإصلاح أوضاع المجتمع الجزائري والعودة به إلى عقيدته السليمة الصافية النقية، متنقلا بين الأوطان والأمصار مخاطبا العقول ناصحا للأمة، وديدنه في ذلك إصلاح المجتمع والرجوع به إلى أصوله الحقيقية.

فالشيخ مبارك الميلي، كان يرى في هذه الطقوس أنها تركة وثنية من الجاهلية تتعارض والعقيدة الإسلامية وأثبت ذلك بالأدلة القاطعة،و الحُججِ الساطعة من الكتاب والسنة، كما أبدى دور الطرقيين في تشجيع هذه البدع لمصلحة لهم في ذلك، وكذا بالنسبة للمستعمر الفرنسي الذي حرص على دعم هذه الطقوس لخدمة مصلحته في طمس الوعي الجماعي للجزائريين و نشر الدَّجَل و الخرافات لضمان بقائه بأرض الجزائر.

الكلمات المفتاحية: الأضرحة؛ الطقوس؛الممارسات؛الميلي؛المواسم؛الأولياء؛الإصلاح؛الطرقية.

Abstract:

In Algeria there is a spread of many practices and rituals concerning shrines of righteous and awliya, which were associated to certain seasons for some people for others, they were related to traditions and habits that Algerians practiced then in different times and places.

The studies genealogy vary these practices between pagan and Islamic assets although it had different resources and history, Islamic scholars and Imams in Algeria had their attitude from them which were prohibition and dislike, There were scholars who supported these practices for a need in themselves, since nature refuses vaccum and with the French invasion of Algeria between 1830-1962, heresies and myths appeared and controlled the minds of people. there were some who found their interest like tarîqa and opportunists of colonists.here appeared the Algeria muslim Olamas Association to these delusious and misleadings.among the elites who was interested in the rituals of mausoleums was sheikh Mubarak El-Mili who use his pen and tongue to reform the principles of the Algerian society and return to its right doctrine. He travelled among countries addressing the nation and giving advice so that he could repair society and return to its real origins.

Sheikh Al-Mili was seeing these rituals as a pagan heritage which contradicts with the Islamic doctrine and He proved that with evidence and proof from the book and Sunnah, he also showed the role tariqa'i in supporting these heresies for their own benefits. As well as for the French

colonizer who supported these rituals to serve his benefits to Blurring the collective consciousness of the Algerians.

Keywords : shrines; Ritual; Practices; El Mili; Seasons; Saints; Reform ; Tarîqa.

مقدمة:

اختلف العلماء حول ظاهرة المواسم والزيارات والطقوس المرتبطة بالأضرحة في كونها ظاهرة تاريخية، اجتماعية ودينية، بل حتى انتروبولوجية وهذا ما جعلها موضوعا من المواضيع التي أسالت الكثير من حبر المهتمين على اختلاف اختصاصاتهم و تنوع مشاربهم، وعليه فالموضوع إذا اختلف المختصون في شأنه فيصبح بالضرورة موضوعا خلافيا ومادة دسمة تتضارب حولها الرؤى والأفكار.

ومن هذا المنطلق فنحن أمام موضوع يبرز موقف الشيخ مبارك الميلي من ظاهرة الطقوس والممارسات المرتبطة بالأضرحة في الجزائر خلال ثلاثينيات القرن الماضي، أي خلال فترة النشاط الإصلاحي للشيخ والذي يُعتبر من رجالات الإصلاح البارزين، وعليه فالموضوع يدرس جوانب هامة خاصة الجانبين التاريخي والديني، فالجانب التاريخي في موضوعنا أنّنا نحاول الكشف عن واقع الطقوس المرتبطة بالأضرحة في فترة من فترات كنّا نرزح فيها تحت وطأة الغزو الفرنسي للجزائر (1830- 1962)، وأما الجانب الديني فيه فهو الموقف العقائدي للشيخ من هذه الطقوس والممارسات.

بالرغم من أن مواضيع -كهذا الذي بين أيدينا- قد تناولته دراسات سابقة ولكن في شقها الدّيني، السوسيولوجي والأنتروبولوجي، إلا أننا سنحاول الإجابة عن جملة من التساؤلات في شقها التاريخي حول موقف الشيخ مبارك الميلي من الطقوس التي كان يمارسها عامة المجتمع الجزائري حول الأضرحة، فما هو مفهوم المواسم والأضرحة ؟ومن هو الشيخ المبارك الميلي؟ وما هو موقف جمعية العلماء المسلمين من الطقوس التي تقام حول الأضرحة؟ وما هو رأي الشيخ الميلي في الممارسات التي يقوم بها عامة المجتمع حول أضرحة الأولياء؟

وللإلمام الجيد بالموضوع كان لزاما علينا اعتماد المنهج التاريخي والوصفي، وكذا التحليلي لتقصي الحقائق ونقد طرح الشيخ وأفكاره.

1-شرح المفاهيم:

لمعرفة موقف الشيخ المبارك الميلي من الطقوس التي تمارسها شريحة من الجزائريين عند الأضرحة في فصول وأيام معينة أو ما يصطلح عليها بالمواسم، نجد أنفسنا أمام عديد المفاهيم المتداخلة فيما بينها والتي وجب رفع الإبهام عنها.

أ-الطقوس:

إذا كانت المعتقدات هي ما يعتقده الإنسان ويدين به، أي هو حالة ذهنية فإن الطقس هو الحالة العملية الممارساتية لذلك المعتقد، وهذه الممارسات أي الطقوس هي التي تحكم على ديمومة المعتقد أو زواله وتلاشيه من خلال عدد الأشخاص الذين يتبنونه، ومن أنواع هذه الطقوس الدورية الاجتماعية أي المتواترة بين الأشخاص والتي تمارس في فترات معينة أو ما يصطلح عليها بالمواسم أو الموالد (السواح، 2002، صفحة 48). وكذلك (ايزار و مونت، 2011، صفحة 633).

ب-المواسم :

هي عبارة عن احتفالات دورية تقام حول ضريح أو ولي صالح بطقوس معينة للحصول على البركة منه (الزاهي، 2011، صفحة 84)، وتأخذ مصطلحات أخرى كالزيارة أو الوعدة ويشترط أن تكون فيها النذور بأنواعها من أموال وأطعمة وذبائح والتي تعتبر جسرا لرضى المنذور له (الميلي، رسالة الشرك ومظاهره، 2001، صفحة 398).

ج-الأضرحة:

هو ما يبنى على القبر أو قبر مبني بالحجارة أو ما شابهها (المجبري، 2016، صفحة 54)، وقد يكون بمسميات أخرى كالمزار وهو حسب الميلي موضع الزيارة قصد التبرك بالصالحين أو ممن دفن هناك (الميلي، رسالة الشرك ومظاهره، 2001، صفحة 338).

وبعد إزاحة اللبس عن المفاهيم المركبة لعنوان الدراسة وجب علينا وضع ترجمة مقتضبة لشخصية الشيخ المبارك الميلي مركزين على تعليمه ورحلاته باعتبارها المؤثر الرئيس على شخصيته .

2-الشيخ المبارك الميلي :

هو مبارك بن محمد ابراهيمي الميلي الجزائري ولد سنة 1316 هـ الموافق لـ 1898م بميلية نواحي قسنطينة، وبعدما حفظ القرآن وتمكن من علوم الدين أصبح أحد تلامذة

الشيخ عبد الحميد ابن باديس بالجامع الأخضر، ونظرا لنبوغه قرَّبَهُ الشيخ إليه، فنهل من علمه وأخلاقه وحماسه للإصلاح (الميلي، رسالة الشرك ومظاهره، 2001، صفحة 13).

سلك الشيخ الميلي المسلك نفسه لشيخه ابن باديس، وسار على نهجه، فالظاهر أنه هو من أشار عليه للالتحاق بجامع الزيتونة وملازمة مشايخه كمحمد الطاهر بن عاشور وبلحسن النجار وآخرين، وهناك من الزيتونة عاد بشهادة التطويع سنة 1924م، بعدما احتك الرجل بالعمل الصحفي نظرا للحرية الصحافية هناك مقارنة بالجزائر التي كانت تعيش التضييق ومصادرة الجرائد، ولدى عودته إلى قسنطينة انكب على التعليم وفي نفسه حماس للعمل الصحفي بمعية شيخه ابن باديس (الميلي، رسالة الشرك ومظاهره، 2001، صفحة 14).

ظهر دور الميلي في الحركة الإصلاحية عندما استقر بمدينة الأغواط لسبع سنوات (1927-1933) وسط بيئة مرابطية طرقية، حيث استقطب شباب المدينة من خلال تعليم حداثي ودعوة أصيلة جعلتهم يلتفون حوله (مراد، 1999، صفحة 105).

تعدت الدعوة الإصلاحية للشيخ منطقة الأغواط إلى المناطق المجاورة أين وجد الشيخ ضالته في الإرشاد والوعظ، وهناك في الأغواط حيث كسر حاجز الجهل والابتداع واستطاع أن يؤسس جمعية علمية والتي تمكن من خلالها إرسال عديد البعثات إلى جامع الزيتونة على شاكلة شيخه ابن باديس.

كان للشيخ الميلي دور في تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين 1931م، حيث كان أمين المال فيها، ليعود إلى مسقط رأسه ميلة إِذْ أسس هناك مدرسة الحياة ونادي الإصلاح (الميلي، رسالة الشرك ومظاهره، 2001، صفحة 15)، وهناك بالأغواط ألف كتابه حول تاريخ الجزائر في القديم والحديث (مراد، 1999، صفحة 106)، الذي يعتبر طفرة نوعية في بعث تاريخ الجزائر الذي جندت فرنسا كل أطياف إدارتها من مستشرقين وعسكريين وأنتروبولوجيين لتزويره حارصة على رومنته ثم فرنسته (الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، 2009، صفحة 27 الى 38)، وأثنى على الكتاب غير واحد من علماء ذلك العصر كابن باديس، شكيب أرسلان وآخرين (الميلي، رسالة الشرك ومظاهره، 2001، صفحة 21).

وكما أشرنا سابقا فإن الشيخ الميلي كان ذا قلم سيّالٍ استلّه في وجه العدو الفرنسي وكذلك ضد بدع وخرافات بعض الطرقيين، فكتب عديد المقالات في صحف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وخاصة البصائر التي أصبح أمين ماليتها مكان الشيخ العقبي سنة 1935 الذي لاحقته فرنسا لموقفه السلبي منها، وهو المصير نفسه الذي لقيه الميلي من مضايقات من فرنسا والطرقيين (سعد الله، 1998، صفحة 413)، ليجمع تلك المقالات في كتاب أسماه "رسالة الشرك ومظاهره"، والذي طبع لأول مرة في المطبعة الإسلامية الجزائرية سنة 1937، كما نشر الكثير من المقالات في صحيفتي المنتقد والشهاب.

توفي الشيخ يوم 25 صفر 1364 الموافق لـ 09 فيفري 1945 إثر مرض عضال ألمَّ به وهو لا يزال في فترة عطائه (الميلي، رسالة الشرك ومظاهره، 2001، الصفحات 21-23).

3-موقف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين من طقوس الأضرحة في الجزائر:

قبل التعريج على موقف الشيخ من ممارسات الجزائريين وطقوسهم حول الأضرحة كان لزاما علينا أن ننطلق من العام إلى الخاص باعتبار أن الميلي من الإصلاحيين الذين وقفوا أمام الممارسات المبتدَعة من الطرقيين والمرابطين، هكذا سماهم علماء الجمعية ولو أنّ هؤلاء ينقسمون إلى صنفين وأقصد هنا الطرقيين(انظر التعليق 1)، وما أجّج هذا الصراع هو سطوة الطرقيين الذين أشاعوا بأذهان عامة الناس فكرة أن الدين أمر قيمي حكر على شريحة معينة وكل من يحاول التجديد فيه فهو مبتدع، وذاك حال الجمعية التي أرادت التجديد في الدين حسب زعمهم (مراد، 1999، صفحة 280)، في حين أن ماهية البدعة لدى الإصلاحيين هي كل جديد مس العبادة قصد التقرب به إلى الله (ابن باديس، 1930، صفحة 9).

كما أطلق الطرقيون لفظ الوهابية على أعضاء الجمعية، كان الحال بالنسبة للإصلاحيين الذين اتهموهم بالرهبانية اليهودية والمسيحية نظرا لاسترقاقهم العباد، بل ووصفوهم بالإقطاعيين وأنهم كونوا ثروة بفضل الهبات التي توهب للمزارات والولائم نتيجة ممارسات تعود للعصور المظلمة (مراد، 1999، صفحة 334).

وعليه، فإن كل فريق يرى في الآخر أنه مبتدع، والظاهر أن نقطة الخلاف ومحل النزاع بين الطرقية ورجال الجمعية في ماهية البدعة (انظر التعليق 2)، فالبدعة في نظر

الطرقيين ترتبط بالممارسات أكثر منها بالعقيدة، وبما أن الإصلاحيين نفوا ممارسات الطرقيين وشعائرهم وطقوسهم إذًا فقد أحدثوا في دينهم المتوارث والمتواتر أبًا عن جد، والمساس بهذه الممارسات هو مساس بعقيدة العوام بالدرجة الأولى، لهذا نجد أن عامة الجزائريين وقفوا أمام رجال الجمعية خوفا على دينهم المتوارث حسب اعتقادهم (مراد، 1999، صفحة 283).

ومن البدع الرائجة لدى الطرقيين بدعة المواسم أو الموالد أو الزردات،كل تسمية حسب منطقة أو طريقة ما من الجزائر، فتُقام الولائم والاحتفالات وتُنحر الذبائح (بولحية، 2016، صفحة 190)، ويطلق الشيخ الإبراهيمي اسم الزردة واصفا إياها بأنها "أعراس للشيطان" ،كما أنها منتشرة في العمالة الوهرانية بكثرة عكس باقي مناطق الوطن، وتقام في فصل الربيع والخريف، وكل له مأرب فيها فيعلق قائلا: "كلما انتصف فصل الربيع من كل سنة تداعى أولياء الشيطان في كل بقعة من هذه العمالة إلى زردة يقيمونها على وثنٍ معروف من أوثانهم يسوله لهم الشيطان وليا صالحا، بل يصوره لهم إلها متصرفا في الكون، متصرفا في النفع والضر والرزق والأجل بين عباد الله، وقد يكون صاحب القبر رجلا صالحا، بل ويؤذن المؤذن لها في الأسواق والمواصلات" انتهى كلام الشيخ (الإبراهيمي، 1997، صفحة 321).

ويضيف الإبراهيمي الذي كان سيفا عليها، أن هذه القباب نادرا ما كانت تبنى على صالح من أجداد القبائل وإنما كان يبنيها المعمرون حماية لأراضيهم وضيعاتهم لمّا عرفوا مقامها بين الأهالي وخوفهم منها، بل وكانوا يبذلون الأموال في سبيل إحياء المواسم، وتذبح الذبائح عليها بل ويحضرون تلك الاحتفالات وسبيلهم في ذلك ترسيخها في قلوبهم وإجلاء أصحاب الأراضي عن أعراشهم وضيعاتهم واستلابها منهم بلا قوة (الإبراهيمي، 1997، صفحة 320).

وكل هذه النذور التي تبذل للأولياء الأحياء منهم والأموات وإن كان الأموات منها بُرَآء، إلا أن لها أضرار دينية تخرجهم من عقيدة التوحيد إلى إشراك الأولياء مع الله نفعا وضرا، ولها ضرر مادي في تلك الأموال أو "الزيارة" التي تمنح لغير مستحقيها، وضرر اجتماعي، فترك الناس العمل والبذل لقوت يومهم طامعين في غنى الأولياء، وأصحاب

الأسقام تركوا الطب وراحوا يتداوون بالتراب كبر مقتا ما يفعلون (عبد ربه، 1937، صفحة 4).

وفي هذا الصدد يذكر محمد السعيد الزاهري ما حدث لتلك العجوز لما اشترت حرزا من عند أحد خدام ضريح "سيدي عابد" بالغرب الجزائري فسألها الزاهري هل وجدتِ ضالتك في الحرز فاستشاطت غضبا قائلة "منذ علقته ما ربحت ولا رأيت خيرا" (الزاهري، 1934، صفحة 2). وحتى مالك بن نبي يرى أن الجزائر كانت وثنية بالرغم من إسلامها إلى أن جاءها فتح جديد من الإصلاحيين ولو أنه يلومهم على دخولهم مستنقع السياسة (انظر التعليق3)، وما جاء الإسلام إلا ليجتث هذه العقائد الفاسدة من قلوب العباد، وقد خص الله لكل زمن مصلحيه ليوقظوا الضمائر ويحيوا النفوس (عبد ربه، 1937، صفحة 4).

4-موقف الشيخ الميلي من بدع الأضرحة:

لطالما اقترن اسم الميلي بالحركة الوهابية والتي تعتبر كلمة دونية لدى عامة الجزائريين بسبب التسويق السلبي للإدارة الفرنسية والطرقيين لهذه العبارة واعتبارها حركة مناوئة للإسلام المالكي في الجزائر، بالرغم من فصل +ابن باديس في ذلك أكثر من مرة بأن الجمعية حركة إصلاحية جزائرية بحتة ولا علاقة لها بأي حركة خارج الجزائر (انظر التعليق 4).

والشيخ الميلي من العلماء الذين عظّموا باب الشرك وكتبوا فيه بحيث يقول" ولقد نتج عن قلة الخوض في الشرك ومظاهره أن صار الشرك أخفى المعاصي معنى وإن كان أجلاها حكما فلظهور حكمه وكونه من الضروريات ترى المسلمين عامتهم يتبرؤون منه ويغضبون كل الغضب إذا نسبوا إليه"، ويرجع الميلي جهل العوام بماهية الشرك إلى التدليس الذي أوقعهم فيه أشباه العلماء وهو بذلك يقصد الطرقيين (الميلي، الشرك ومظاهره، 1936، صفحة 2)، ويتعجب الشيخ من المسلم يقول لا إله إلا الله ثم تجده يشرك أجداده مع الله في النفع والضرر، فيقول إياك نعبد وإياك نستعين وحين يريد النهوض يقول يا سيدي فلان يا رجال الدالة (الميلي، الشرك ومظاهره، 1936، صفحة 2).

والمواسم في الجزائر كانت تقام على جدران الأضرحة أو ما يصطلح عليه الآن بالأولياء، وكان الشيخ الميلي قد فصّل فيها تفصيلا في كتابه "رسالة الشرك ومظاهره" الذي سبق التعريف به، فالزيارة كان النبي صلى الله عليه وسلم قد نهى عنها ثم أذِن فيها، وهي مستحبة للرجال أما النساء فالإذن فيها يكون بضوابط ،كما جاء في الحديث عن بُريدَةَ رَضِيَ اللَّهُ عنه قال: قال رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم: "نَهَيْتُكُم عن زيارةِ القبور، فزُورُوها" (مسلم، 1991، رقم الحديث :977)، وإن قاصد المزار أو الضريح لا يخرج عن شروط:

- أن لا يتخذ عليها بناء، ويمنع الشيخ اتخاذ المزارات وتجصيص قبورها والتبخير فيها وربط الخيوط واستقبالها والصلاة لها (الميلي، رسالة الشرك ومظاهره، 2001، الصفحات 341-354) مستندا إلى حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في مرضه الذي مات فيه: "لعن الله اليهود والنصارى ،اتخذوا قبور أنبيائهم مسجدا". قالت ولولا ذلك لأبرزوا قبره غير **أنّي أخشى** أن يتخذ مسجدا. (البخاري، 2010، رقم الحديث: 1330).

- أن لا تُحمل العطايا والهدايا بغض الطرف عن ألوانها وماهيتها، فالسِدانة لا تكون إلا للكعبة، والأطعمة التي تكون في شكل نذور شركية تداولها المجتمع أبا عن جد (الميلي، رسالة الشرك ومظاهره، 2001، صفحة 359)، واستدل الشيخ بكلام الإمام الصنعاني في كتابه سبل السلام عندما قال "وأمّا النذور المعروفة في هذه الأزمنة على القبور والمشاهد والأموات فلا كلام في تحريمها، لأن الناذر يعتقد في صاحب القبر أنّه ينفع ويضر، ويجلب الخير ويدفع الشر، ويعافي الأليم ويشفي السقيم ... ويجب النهي عنه وإبانة أنّه من أعظم المحرمات وأنه الذي كان يفعله عبّاد الأصنام"، ويواصل: "وصارت تعقد اللواءات لقبّاض النذور على الأموات، ويجعل للقادمين إلى محل الميت الضيافات، وينحر في بابه النحائر من الأنعام، وهذا هو بعينه ما كان يفعله عُبّاد الأصنام." (الصنعاني، 2006، صفحة 365).

- عدم السفر والحج إليها فالرحال لا تشد إلا لمساجد ثلاث، كما جاء في قول رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لَا يَنْبَغِي لِلْمَطِيِّ أَنْ تُشَدَّ رِحَالُهُ إِلَى مَسْجِدٍ يُبْتَغَى فِيهِ الصَّلَاةُ، غَيْرَ

الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَالْمَسْجِدِ الْأَقْصَى، وَمَسْجِدِي هَذَا" (ابن كثير، 1994، الحديث رقم :351).

- النية من وراء الزيارة فلا تعلق بها خيوط ولا تمائم ولا يرجى منها نفع ولا ضرر ولا يرجى منها إعانة ولا مكاشفة ولا استطلاع غيب فذلك من الكهانة (الميلي، رسالة الشرك ومظاهره، 2001، الصفحات 359-360).

فإذا خرجت هاته الأربع عن الشرع فقد خرجت من الحِلّ والجواز إلى الحرام ووافقت البدعة. وأما الأطعمة والذبائح التي تكون عند مزارات الصلحاء في موسم الخريف حرثا، والربيع رجاء للغلة طمعا في غيث ذلك الولي الصالح، فهي محرمة لأنها حضّرت وذبحت لغير وجه الله ولو ذكر اسم الله عند ذبحها، كما أنها ذبحت على قبر الصالح (الميلي، رسالة الشرك ومظاهره، 2001، صفحة 380)، وهذه الذبائح لا تخرج عن أحد الأمرين إما نشرة أو زردة، وهنا وجب التفريق بينهما والتفصيل فيهما.

فأما النشرة فهي ذبيحة غالبا ما تكون من الدجاج القصد منها استشفاء مريض به مسٌّ من الجن ولا يذكر اسم الله عليها عند الذبح تقربا إلى الجن، ويصدق فيها حكم التحريم إطلاقا كما سبق قوله.

وأما الزردة طعام يتخذ على ذبيحة للتقرب إلى من يُعتقد صلاحه من الموتى أو بركته من المزارات (الميلي، الشرك ومظاهره، 1936، صفحة 6).

وعليه، فعِلّة تحريم كل منهما هو القصد من وراء الذبح وهو لغير الله عز وجل، ومن دلائل ذلك أن قصدهم وجه صالحهم، فهذه الزردات أصبحت تسمى بصلحائها "زردة سيدي فلان أو طعام سيدي فلان"، وأنّ زردتهم لا تؤدى إلا على قبر ضريح وليّهم فإنّ حدث ونزل الغيث نسبوها إليه وأخيرا أنّه يُخوَّن ويكفر كل من ينهاهم عن فعلهم (الميلي، الشرك ومظاهره، 1936، صفحة 4). والزردة إذا ارتبطت بزمن معين وقبر معين بذلك فهي مثلها مثل الذبح على النصب زمن الجاهلية والذي نهى الرسول صلى الله عليه وسلم "لا تتخذوا قبري عيدا، ولا بيوتكم قبورا، فإنّ تسليمكم يبلغني أينما كنت" (ابن أبي شيبة، 1989، الحديث رقم:7542).

الظاهر من خلال حديث الميلي عن ظاهرة الزردة، أنّه لم يحرمها مجملا بل فصّل فيها حسب الحالة والإحداث فيها والنية من ورائها فيقول إنّ فريقا استحسنها لما يحصل

فيها من تزاور والتفات للفقراء والتصدّق عليهم، ولكن يعقب قائلا إنَّ هذه المرامي لم يشهدها في هذه التجمعات بل إنّ الناس يضيعون صلواتهم، بغض النظر عن ما يقع من اختلاط ومجون وتعدٍ على حرمات الله (الميلي، الشرك ومظاهره، 1936، صفحة 4)، ومما استدل به الشيخ على حرمة الزردة أنّ السلف لم تكن فيهم (الميلي، رسالة الشرك ومظاهره، 2001، صفحة 384)، وأنّ المقابر محل اعتبار وخشوع وإطراق وليست محل لهو ولعب بالمزامير.

وأحيانا تكون الزردة بخلفية سياسية كما فعل ابن جلول (انظر التعليق 5) عندما دعا الناس إلى زردة بإحدى مقابر قسنطينة نكاية في علماء الجمعية وتغطية على فشله السياسي ووجه الدعوة فيها للقبوريين (يقصد كل من يدعوا إلى إحياء موسم على قبر ما)، وحتى غلاة المستعمرين، وهذا الصنيع منكر لما فيه من تسفيه للأمة وإحياءٍ لبدعٍ طالما تركها المجتمع ونسيها.

والغريب في الأمر، أن هاته الزرد لم يقتصر إحياؤها على الجزائريين فقط بل حتى المعمريين تفطنوا لأهميتها في إلهاء المجتمع وقضاء حوائجهم، وهو ما حصل في مدينتي سيدي بلعباس وعين تموشنت بعمالة وهران التي تشهد إحياء كبيرا لهذه البدع كما ذكرنا سابقا.

ولا يُستبعد أنّ هناك علاقة بين كبار المعمرين والدكتور ابن جلول في مسألة إحياء هذه الزردات باعتبار أنّ زردة قسنطينة جاءت بعد زردتي عين تموشنت وسيدي بلعباس وأن هناك تواصلا بين الطرفين، لأن الغرض واحد وهو ركوب الجزائريين واستعبادهم (حلوش، 1936، صفحة 7).

كما أنّ هناك عائلات شريفة وقبائل عريقة تلتزم بإحياء بعض المواسم في مكان وزمان معيّنين، وتنتشر كثيرا في عمالتي الجزائر ووهران، وهي ضرب من ضروب النذور لغير الله المتوارثة عن الأجداد حتى أصبحت تسمى بأسماء من أوجدوها، ولزاما عليهم أداؤها كما كان سلفهم يفعلون كمًا وكيفًا وإلا نزل عليهم الوبال جرّاء تقصيرهم، والقصد منها دفع الضّرر المرتبط بعدم أداء النذر.

وقد كثرت المزارات خاصة في الغرب الجزائري بمسمى الشيخ عبد القادر الجيلاني وهو دفين بغداد يتمسحون بجدرانها ويتخذونه وساطة بينهم وبين ربهم وهذا جهل

وضلال (الميلي، رسالة الشرك ومظاهره، 2001، الصفحات 399-362)، والشيخ الميلي حتى ننصفه لا يرى التبرك شركا بل يرى أن هذا التبرك يمكن أن يكون سهما أو ذريعة نحو الشرك كما حصل مع قوم نوح فينقادون إلى الوثنية الجاهلية، وهو الحاصل في عصره من بذل الأموال لبناء القباب وشدّ الرحال والحج إليها موسما بعد آخر حتى توطنت هذه البدع في نفوسهم وتوارثوها أبًا عن جد، واعتقدوا فيها الصلاح، الإحياء والإماتة، وصارت ركنًا من أركان إيمانهم، فأصبحوا لا يصومون ولا يزكّون إيمانا منهم بالله بل رضوخا لأوليائهم الروحيين من رجال الطرقية والمرابطين الأحياء ممن دلّسوا عليهم أو ممّن قضوا نحبهم (الميلي، رسالة الشرك ومظاهره، 2001، الصفحات 148-164)، فيقول الشيخ في هذا الشأن "فيظنّونه اعتقاد النفع والضر في الجمادات وغير الصالحين من العباد، أو اعتقاد أن أحدا غير الله يماثل الله في الخلق والإيجاد "،ويواصل:" ينزلون الأمطار متى شاؤوا ويُعافون من أحبوا من المرضى ويهبون لمن أرادوا ذكورا أو إناثا ويزوجونهم ذكرانا وإناثا ويجعلون من غضبوا عليه عقيما"، وكل من عارض هؤلاء وعارضهم اتهموه بنكران الولاية ورموه بالاعتزال والوهابية (الميلي، الشرك ومظاهره، 1936، صفحة 2).

العلماء والمفكرون ولصدق نواياهم يتقاطعون فيما بينهم في الفراسة والاستشراف، فمبارك الميلي يتقاطع مع مالك بن نبي في تفسير ظاهرة انتشار تقديس الصلحاء وحجارتهم عندما يقول الشيخ"متى فقدت الأمة العالم البصير والدليل الناصح والمرشد المهتدي، تراكمت على عقولها سحائب الجهالات، وران على بصائرها قبائح العادات "ويردف قائلا" وهكذا كل ما تراه أو تسمعه من الدجالين ولا تدرك له سببا عاديا تنسبه إلى قوة غيبية" (الميلي، الشرك ومظاهره، 1936، صفحة 2)، ويختصر مالك بن نبي كلام الميلي فيقول "عندما تغيب الفكرة يبزغ الصنم، والعكس صحيح" (بن نبي، 1986، صفحة 28)

خاتمة:

من خلال استعراضنا لورقتنا البحثية نكون قد وصلنا إلى ما يلي:

- إنَّ المواسم المتعلقة بالأضرحة هي ظاهرة اجتماعية انتشرت في البلاد ولها طقوس خاصة مارستها شريحة واسعة من عامة الجزائريين.
- إنَّ الطقوس المتعلقة بالأضرحة ظاهرة تباينت حولها المواقف بين داعم ورافض لها من رجال دين وسياسيين، حسب الأعراف والمآرب.
- إنَّ الطقوس والممارسات المرتبطة بالأضرحة مسألة خلافية عقديا، اختلفت حولها أحكام العلماء من رجال الإصلاح ورجال الطرقية بين مبدّع ومكفّر.
- إنَّ الكولون حرصوا كل الحرص على دعم المواسم والاحتفالات المتعلقة بالأضرحة لحماية لمصالحهم وإقطاعياتهم.
- إنَّ موقف الشيخ مبارك الميلي كان موقفا سلبيا منها ومُضَادّاً لها، رفضها رفضا قاطعا مستندا في ذلك إلى حجج من الكتاب والسنة وأقوال لعلماء الأمة وأبرز الضرّر العقدي والمادي والنفسي لها على الجزائريين كأفراد وكمجتمع.
- إنَّ ظاهرة الأضرحة والطقوس المرتبطة بها شغلت عقول العلماء ودفعت بعضهم إلى تأليف الكتب في هذا الشأن كما هو الحال بالنسبة للشيخ الميلي الذي ألف كتاب "رسالة الشرك ومظاهره".

التعليقات:

- التعليق رقم 01: هم صنفان، غلاة الطرقيين الذين أحدثوا في الدين بدعا دخيلة وهناك طرقيون يرون في أنفسهم ورثة المالكية و أنَّ الإصلاحيين الجدد ينتسبون إلى ابن تيمية أو محمد ابن عبد الوهاب فيرون رجال الجمعية ذوي فكر دخيل.
- التعليق رقم 02: البدعة هي ما أُحدث وليس له أصل في الشرع وهي مسالة خلافية بين العلماء لغة وشرعا (الحنبلي، 2008، صفحة 158).
- التعليق رقم 03: يلوم مالك بن نبي علماء الجمعية على تحزبهم وتسييسهم والوقوع في فخ الانتخابات فيقول إنّهم هدموا القباب والزوايا دون الأوثان (بن نبي، 1986، صفحة 35).
- التعليق رقم 04: أكد ابن باديس في الشهاب الصادرة في ماي 1935 أن الجمعية لا علاقة لها بالحركة الوهابية لا من قريب ولا من بعيد (مراد، 1999، صفحة 269)، في حين إذا تأملنا

مضمون كتاب رسالة الشرك ومظاهره لوجدناه يكاد يكون نسخة طبق الأصل لكتب التوحيد لمحمد بن عبد الوهاب.

- التعليق رقم 05: ابن جلول: سياسي من النخبة الجزائرية التي نشطت فترة العشرينيات من القرن الماضي، ولد بالشرق الجزائري بمدينة قسنطينة اين زاول تعليمه الثانوي هناك، ليلتحق بجامعة الجزائر.

قائمة المصادروالمراجع:

1- الإبراهيمي البشير. (1997). آثار الإمام البشير الإبراهيمي،ج3، ط1. بيروت: دار الغرب الإسلامي.

2- ابن أبي شيبة أبو بكر (1989). المصنف في الأحاديث والأثار،ج2 ، ط1. بيروت: دار التاج.

3- ابن باديس عبد الحميد. (فيفري 1930). مجالس التذكير. الشهاب(6).

4- ابن كثير عماد الدين ابي الفداء إسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي الشافعي. (1994). جامع المسانيد والسنن،ج33. بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

5- أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري.(1991).صحيح مسلم ج1. بيروت: دار احياء الكتب العلمية.

6- بخاري أبو عبد الله محمد بن بن إبراهيم (2010). صحيح البخاري، ط1. القاهرة: دار ابن الجوزي.

7- بن حلوش مصطفى. (9اكتوبر, 1936). زردة بن جلول. البصائر(38).

8- بن نبي مالك. (1986). شروط النهضة. (ترجمة عبد الصبور شاهين) دمشق: دار الفكر.

9- بولحية نور الدين (2016).جوانب الخلاف بين جمعية العلماء والطرق الصوفية وأسبابها، ط2. دمشق: دار الأنوار للنشر والتوزيع.

10- بونت بيار وايزار ميشال. (2011). معجم الأثنولوجيا والأنثروبولوجيا. (ترجمة مصباح الصمد، المترجمون) بيروت: المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع.

11- الزاهري محمد السعيد.(1جانفي, 1934). زيارة سيدي عابد. الصراط السوي(16).

12- السواح فراس. (2002). دين الانسان. دمشق: علاء الدين.

13- سعد الله أبو القاسم. (1998). تاريخ الجزائر الثقافي،ج7 ، ط1. بيروت: دار الغرب.

14- الصنعاني محمد بن سماعيل الامير. (2006). سبل السلام،ج4 ، ط1. الرياض: مكتبة المعارف.
15- عبد ربه محمود.(30افريل, 1937).نذور الأولياء–هل يحل أكلها للعلماء. البصائر(65).
16- المجبري عبد الرزاق. (2016). المزار في كتب الجغرافيين والرحالة العرب من القرن الرابع الى القرن السادس للهجرة. تونس: مجمع الأطرش.
17- مراد علي. (1999). الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر. (ترجمة محمد يحياتن) الجزائر: دار الحكمة.
18-الميلي مبارك. (1964). تاريخ الجزائر في القديم والحديث،ج1. (تحقيق محمد الميلي)، الجزائر:المؤسسة الوطنية للكتاب.
19- الميلي مبارك. (2001). رسالة الشرك ومظاهره ، ط1. الرياض: دار الراية.
20- الميلي مبارك. (22 جوان, 1936). الشرك ومظاهره. البصائر(5).
21- الميلي مبارك. (25 جوان, 1936). الشرك ومظاهره. البصائر(26).
22- الميلي مبارك. (26 جوان, 1936). الشرك ومظاهره. البصائر(25).
23- الميلي مبارك. (31 جانفي, 1936). الشرك ومظاهره. البصائر(5).
24- الميلي مبارك. (6 فيفري, 1936). الشرك ومظاهره. البصائر(7).
25- الميلي مبارك الميلي. (11 مارس, 1936). الشرك ومظاهره. البصائر(20).
26- الميلي مبارك. (13 مارس, 1936). الشرك ومظاهره. البصائر(3).
27- نور الدين الزاهي (2001). المقدس والمجتمع ،الدار البيضاء: افريقيا الشرق.
28- الحنبلي ابن رجب. (2008). جامع العلوم والحكم، ط1. بيروت: دار ابن كثير.